البحوث والدراسات

دور مدينة الدمام في أحداث البحرين منذ دخول آل خليفة حتى الحماية البريطانية ١٧٨٣-١٨٧٠م

د. إبراهيم علي عبد العال*

ملخص:

يتناول البحث ثلاثة محاور رئيسية:

الأول: الانقسام الذي حدث بين فروع قبيلة العتوب بعد دخول فرع آل خليفة البحرين؛ حيث اتخذ فرع الجلاهمة مدينة الدمام مركزاً لهم بزعامة رحمة الجلاهمة؛ وقاموا بممارسة الهجوم والتهديد لسفن أبناء عمومتهم من آل صباح وآل خليفة في مياه الخليج، بل هددوا حكم آل خليفة في البحرين. وقد استفاد رحمة من الظروف التي مرت بها منطقة شرقي الجزيرة العربية وخاصة تقدم السعوديين والاستيلاء على إقليم الأحساء، ووقوع خلافات بين آل سعود وآل خليفة، فأعلن ولاءه للسعوديين، واستمرت هذه التهديدات من قبل رحمة حتى بعد انضمام البحرين إلى المعاهدة البريطانية العامة عام ١٨٢٠م، التي عقدت في أعقاب انهيار الدولة السعودية الأولى، لذا قرر آل خليفة القضاء على رحمة واحتلال الدمام لإنهاء الأخطار على حكمهم من هذه المدينة.

الثاني: الدور الذي أدته مدينة الدمام في النزاع الذي وقع بين أسرة آل خليفة؛ حيث اتخذ المنشقون من آل خليفة مدينة الدمام مركزاً لهم لاستعادة حقوقهم في حكم البحرين. وقد جاء هذا الانشقاق في وقت عودة السعوديين لحكم إقليم الأحساء ومن ثم استعادة مدينة الدمام. ويركز هذا المحور على الدور الذي لعبه السعوديون بين المتنافسين من آل خليفة؛ فقد أخذ الإمام فيصل بن تركي في البداية جانب الشيخ محمد بن خليفة في الهجوم على عمه الذي اتخذ الدمام مقراً له بعد طرده من البحرين. ولكن الموقف تبدل بعد ذلك عندما رفض حاكم البحرين - الشيخ محمد بن خليفة - دفع الزكاة للأمير السعودي، وفي كل الأحوال لعبت الدمام دوراً مهماً سواء في صراع حكام وزعماء آل خليفة فيما بينهم أو في صراعهم مع أمراء الدولة السعودية الثانية.

* أستاذ مشارك بقسم التاريخ، كلية الآداب للبنات، جامعة الدمام، المملكة العربية السعودية.

الثالث: يتناول هذا المحور موقف السلطات البريطانية من مدينة الدمام وما صدر عنها من تهديدات اعتبرتها بريطانيا مهددة لمصالحها في مياه الخليج ونفوذها في المنطقة. فخلال فترة التهديدات التي قام بها رحمة الجلاهمة للملاحة البحرية باعتداءاته على سفن أبناء عمومته (آل خليفة وآل صباح)، وعلى الرغم من أن رحمة لم يعتد على السفن البريطانية، عملت السلطات البريطانية - خاصة بعد انضمام البحرين للمعاهدة العامة عام ١٨٢٠م - على تقديم المساعدة لآل خليفة في هجومهم على الدمام والقضاء على رحمة لخوفهم أن تمتد اعتداءاته إلى السفن البريطانية العاملة في مياه الخليج.

كذلك اتخذت بريطانيا الموقف نفسه عندما ظهر بشر بن رحمة من الدمام، وقام بالدور الذي قام به والده فيما سبق. وقفت بريطانيا أيضاً بجانب الشيخ محمد الخليفة حاكم البحرين ضد عمه المطرود، وسمحت له بمهاجمة الدمام للقضاء على التهديدات التي وجهها الشيخ عبدالله بن أحمد لحكمه في البحرين من الدمام. وأخيراً قصفت بريطانيا الدمام عندما عاد المنشقون من آل خليفة إليها. وعندما وقع هجوم على البحرين من قبل المنشقين من آل خليفة في الدمام - بعد أن انضم إليهم الشيخ محمد بن خليفة نفسه عقب فراره من البحرين عام ١٨٦٨م - تدخلت بريطانيا عسكرياً ضد هذا الهجوم، وقبضت على هؤلاء المنشقين، وعينت من قبلها حاكماً على البحرين من أسرة آل خليفة، ذلك التعيين الذي وضع الأساس لفرض الحماية البريطانية على البحرين.

١- مقدمة:

كان موقع جزيرة البحرين في مياه الخليج العربي وعلى قرب من مدن ساحل شرقي الجزيرة العربية -وبخاصة مدينة الدمام- عاملاً مهماً في التفاعل والتأثير المتبادل بين الجزيرة والمدينة ، وتشير الروايات إلى أن أول هذه التفاعلات في العصر الحديث ظهر بعد خروج البرتغاليين من جزيرة البحرين عام ١٦٠٢م؛ فقد نتج عن طرد البرتغاليين منها نشوب نزاعات طائفية بين سكان البحرين من السنة والشيعة، هذه الخلافات أعطت الفرصة للشاه الفارسي عباس الأول (١٥٧٦-١٦٢٩م) لوضع البحرين تحت الحكم الفارسي ، ولذلك أرسل حملة في العام نفسه بقيادة قولي خان، نجحت بالفعل في احتلال البحرين ووضعها تحت حكم فارس.

وجاء وضع جزيرة البحرين تحت الحكم الفارسي بقوة الاحتلال وعلى غير رغبة من أهلها ، وقد تعاقب على حكمها العديد من الحكام الفرس ، وظهر خلال حكمهم عدم رضا أهل البحرين للحكم الفارسي، وبسبب أوضاع الخليج المضطربة – آنذاك– كانت القوة العربية الوحيدة القادرة على منازلة الفرس في البحرين هي قوة اليعاربة في عمان، غير أن نظرة شيعة البحرين بصفة خاصة للحكم الإباضي اليعربي وأن الأباضية خوارج – حالت دون نجاح اليعاربة في إخضاع البحرين، ولذلك عندما تمكن الإمام سيف بن سلطان اليعربي عام ١٧٠٠م من احتلال البحرين منتهزاً فرصة الاضطرابات التي وقعت في فارس أواخر عهد الدولة الصفوية لم يقبل سكان البحرين هذا الاحتلال ، و هنا كان إقليم الأحساء شرقي الجزيرة العربية – وخاصة مدينتي الدمام والقطيف –من البحرين هو البديل لهؤلاء السكان، وبالفعل فر الكثير من شيعة البحرين إلى مدينتي الدمام والقطيف.

لم يستقر الوضع لليعاربة في البحرين، ولم يدم حكمهم للجزيرة طويلاً، فالفارون إلى مدن الأحساء بسبب قرب المسافة بين البحرين والدمام سببوا مشكلات كثيرة للوجود العماني في الجزيرة ، ومن ناحية أخرى ناصب من بقي من سكان الجزيرة – ومعظمهم من عرب الهولة في البحرين– العداء للعمانيين، وقد تفاوض عرب الهولة مع فارس لإخراج العمانيين ، واضطر حكام اليعاربة – في آخر الأمر وبسبب هذه الظروف – إلى الانسحاب من البحرين عام ١٧١٨م مقابل مبلغ من المال دفعه الفرس لهم.

بعد خروج العمانيين من البحرين عاد إليها معظم الفارين من مدن الأحساء؛ الأمر الذي دفع عرب الهولة إلى القيام بمحاولات للتخلص من الحكم الفارسي، ونجحت هذه المحاولات بسبب الاضطرابات التي وقعت في فارس وغزو الأفغان لها عام ١٧٢٦م ، وبعد إخراج الفرس من الجزيرة تولى الشيخ جبارة – زعيم قبيلة الهولة– حكم البحرين حتى أطاح به نادر شاه عام ١٧٣٦م، وبعد اغتيال نادر شاه عام ١٧٤٧م استعاد عرب الهولة حكم البحرين، حتى تمكن أحد شيوخ قبيلة المطاريش العربية، وهو نصر آل مدكور، من القضاء على حكم الهولة عام ١٧٥٥م، ووافق الحاكم الجديد في فارس – كريم خان الزند– على تولي الشيخ ناصر حكم الجزيرة تحت السيادة الفارسية.

استمر حكم الشيخ ناصر لجزيرة البحرين حتى دخلها آل خليفة – أحد فروع قبيلة العتوب– عام ١٧٨٣م ، ومنذ ذلك التاريخ عاد التأثير والتفاعل بين مدن الأحساء – وخاصة الدمام – وجزيرة البحرين ، وأدت الدمام دوراً مهماً في تاريخ آل خليفة في البحرين من عدة نواح؛ فمن ناحية تعرضت البحرين لهجمات عديدة من العناصر المعادية لآل خليفة ، هذه العناصر اتخذت من الدمام مقراً لها وكان الفرع الآخر من العتوب – فرع الجلاهمة – من أهم هذه العناصر التي هددت حكم آل خليفة من الدمام بسبب عدائهم الشديد لأقاربهم الذين رفضوا مشاركتهم في حكم البحرين، بعد أن شاركوهم في فتح الجزيرة، ومن جهة ثانية حاول آل سعود مد نفوذهم وفرض سيطرتهم على البحرين باعتبارها جزءاً من ساحل الأحساء الذي امتد إليه نفوذهم خلال فترة دولتيهم الأولى والثانية، وأدت الدمام دوراً مهماً في هذه الأحداث.

الأهم من ذلك أن دور الدمام ظهر أكثر وضوحاً في تاريخ آل خليفة في البحرين خلال فترة المنازعات الأسرية بين آل خليفة عندما لجأ المنشقون على الحكم من زعمائهم إلى مدينة الدمام، واتخذوها مكاناً لتهديد حكم منافسيهم في البحرين، وفي المقابل قام حكام من آل خليفة – بسبب التهديد لحكمهم من الدمام – في أكثر من مناسبة بمحاصرة المدينة والاستيلاء عليها؛ الأمر الذي أدخلهم في نزاعات مع أبناء البيت السعودي الذين نظروا إلى المدينة على أنها من ممتلكاتهم وحقاً شرعياً لهم، وأخيراً، فإن التهديد الذي عانته البحرين من مدينة الدمام دفع البريطانيين إلى التدخل لحماية مصالحهم ، واتخذ هذا التدخل صوراً متعددة بمحاصرة مدينة الدمام أحياناً، وإجبار حاكم البحرين على رفع حصاره عن المدينة أحياناً أخرى، وفي نهاية الستينيات من القرن التاسع عشر اضطرت بريطانيا بسبب قلاقل البحرين التي كانت الدمام من أهم أسبابها، إلى التدخل العسكري في البحرين، وتعيين حاكم من آل خليفة على الجزيرة، تلك الخطوة التي شكلت أساساً لفرض الحماية البريطانية على البحرين.

وبناء على ما سبق فإن البحث يتناول ثلاثة محاور رئيسة:

الأول – الانقسام الذي حدث بين فروع قبيلة العتوب بعد دخول فرع آل خليفة إلى البحرين، حيث اتخذ فرع الجلاهمة مدينة الدمام مركزاً لهم بزعامة رحمة الجلاهمة، وقاموا بممارسة الهجوم والتهديد لسفن أبناء عمومتهم من آل صباح وآل خليفة في مياه الخليج، بل هددوا حكم آل خليفة في البحرين ، وقد استفاد رحمة من الظروف التي مرت بها منطقة شرقي الجزيرة العربية وخاصة تقدم السعوديين والاستيلاء على إقليم الأحساء ووقوع خلافات بين آل سعود وآل خليفة، فأعلن ولاءه للسعوديين، واستمرت هذه التهديدات من قبل رحمة حتى بعد انضمام البحرين إلى المعاهدة البريطانية العامة عام ١٨٢٠م، التي عقدت في أعقاب انهيار الدولة السعودية الأولى ، ولذا قرر آل خليفة القضاء على رحمة واحتلال الدمام لإنهاء الأخطار على حكمهم من هذه المدينة.

الثاني – الدور الذي أدته مدينة الدمام في النزاع الذي وقع بين أسرة آل خليفة؛ حيث اتخذ المنشقون من آل خليفة مدينة الدمام مركزاً لهم لاستعادة حقوقهم في حكم البحرين، وقد جاء هذا الانشقاق في وقت عودة السعوديين لحكم إقليم الأحساء، ومن ثم استعادة مدينة الدمام.

ويركز هذا المحور على الدور الذي لعبه السعوديون بين المتنافسين من آل خليفة، فقد أخذ الإمام فيصل بن تركي في البداية جانب الشيخ محمد بن خليفة ضد عمه عبدالله بن أحمد بسبب موقف الأخير من المصريين وإعلان خضوعه لهم، وسمح بل اشترك مع محمد بن خليفة في الهجوم على عمه الذي اتخذ الدمام مقراً له بعد طرده من البحرين ، لكن الموقف تبدل بعد ذلك عندما رفض حاكم البحرين – الشيخ محمد بن خليفة – دفع الزكاة للأمير السعودي. وفي كل الأحوال لعبت الدمام دوراً مهماً سواء في صراع حكام وزعماء آل خليفة فيما بينهم أو في صراع حكام وزعماء آل خليفة مع أمراء الدولة السعودية الثانية.

الثالث – يتناول هذا المحور موقف السلطات البريطانية من مدينة الدمام وما صدر عنها من تهديدات اعتبرتها بريطانيا مهددة لمصالحها في مياه الخليج ونفوذها في المنطقة. فخلال فترة التهديدات التي قام بها رحمة الجلاهمة للملاحة البحرية باعتداءاته على سفن أبناء عمومته (آل خليفة وآل صباح) ، وعلى الرغم من أن رحمة لم يعتد على السفن البريطانية، عملت السلطات البريطانية– خاصة بعد انضمام البحرين للمعاهدة العامة عام ١٨٢٠م– على تقديم المساعدة لآل خليفة في هجومهم على الدمام والقضاء على رحمة؛ لخوفها أن تمتد اعتداءاته إلى السفن البريطانية العاملة في مياه الخليج ، كذلك اتخذت بريطانيا الموقف نفسه عندما ظهر بشر بن رحمة من الدمام وقام بالدور الذي قام به والده فيما سبق ، ووقفت بريطانيا أيضا بجانب الشيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين ضد عمه المطرود، وسمحت له بمهاجمة الدمام للقضاء على التهديدات التي وجهها الشيخ عبدالله بن أحمد لحكمه في البحرين من الدمام، وأخيراً قصفت بريطانيا الدمام عندما عاد المنشقون من آل خليفة إليها ، وعندما وقع هجوم على البحرين من قبل المنشقين من آل خليفة في الدمام – بعد أن انضم إليهم الشيخ محمد بن خليفة نفسه بعد فراره من البحرين عام ١٨٦٨م – تدخلت بريطانيا عسكرياً ضد هذا الهجوم وقبضت على هؤلاء المنشقين وعينت من قبلها حاكماً على البحرين من أسرة آل خليفة ، ذلك التعيين الذي وضع الأساس لفرض الحماية البريطانية على البحرين.

٢– آل خليفة في البحرين والجلاهمة في الدمام:

نزلت قبيلة العتوب التي ينتمي إليها فرع آل خليفة في مدينة الزبارة على ساحل قطر في بداية القرن الثامن عشر الميلادي (عام ١٧١٦م) ، وتروي الروايات أنه في أثناء إقامة العتوب في هذه المدينة وقعت حادثة، قتل فيها شخص قطري على يد أحد أفراد العتوب، فهاج أهل بلدته؛ مما أرعب العتوب، فغادروا المدينة[١].

(١) محمود، حسن سليمان. (١٩٦٨). الكويت ماضيها وحاضرها . بغداد . ص١٤٨.

ويبدو أن هذه الحادثة كانت من تدبير آل مسلم – القبيلة الرئيسة في قطر آنذاك – الذين خشوا أن ينتزع العتوب السلطة في قطر ، ولذلك لم يكتف آل مسلم بمغادرة العتوب مدينة الزبارة بل قرروا إجبارهم على الخروج من شبه جزيرة قطر بأكملها، لذلك لحقوا بهم ودارت بين الطرفين معركة عند رأس تنورة بين البحرين والأحساء[٢]، ولم تكن لهذه المعركة نتائج حاسمة، حيث عاد آل مسلم إلى قطر وواصل العتوب رحلتهم على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، حتى استقر بهم المقام في موقع الكويت، حيث نظموا شؤونهم ، وعملوا على كسب عطف جيرانهم وحصلوا بالفعل على موافقة العثمانيين في البصرة وبني خالد في الأحساء على الإقامة في هذه المنطقة[٣].

وإذا كان العتوب قد حاولوا كسب جيرانهم في بداية إقامتهم في الكويت فإن بعض الجيران كانوا السبب في حل التحالف العتوبي؛ إذ مارست قبيلة بني كعب – وهي في الأصل قبيلة نجدية هاجرت في القرن السابع عشر واستقرت في المنطقة الواقعة إلى الشرق من مدينة البصرة بين الحدود العثمانية الفارسية وكان مركز نفوذهم في مدينة الدورق[٤] – مارست العداء تجاه العتوب منذ نزولهم بالكويت – بسبب ازدهار الكويت، الذي جعلها محل رغبة شيوخ بني كعب في السيطرة عليها، ودفعهم عداؤهم للعتوب إلى التحالف مع عرب بندر رق وعرب المحمرة ضدهم.

والواقع أن هذا العداء كان له نتائج مهمة على تاريخ منطقة الساحل الشرقي للجزيرة العربية، خاصة ما ترتب على ذلك من خلاف وصل في بعض الأحيان إلى العداء بين العتوب أنفسهم .

---

(٢) وهبة، حافظ. (١٩٥٦). جزيرة العرب في القرن العشرين. القاهرة . ص٩٦.

(3) H.P.Dickson. (1956). Kuwait and her Neighbours,London. p.p.27.

(٤) أبو حاكمة، أحمد مصطفى. (١٩٥٦). تاريخ شرق الجزيرة العربية (الكويت والبحرين)، ترجمة محمد أمين عبدالله . بيروت . ص ص ٩١–٩٢.

لقد كان أهم ما ترتب على عداء آل كعب للعتوب انفصال فرع آل خليفة عن التحالف العتوبي ومغادرة هذا الفرع للكويت واتجاههم نحو الجنوب واستقرارهم في الموطن الأول لهم في مدينة الزبارة على ساحل قطر ، وقبل أن نعرض لما ترتب على هذا الحدث من آثار وانعكاسات على الأوضاع في ساحل الخليج العربي ، يجدر بنا أن نشير إلى الأسباب التي دفعت فرع آل خليفة إلى مغادرة الكويت ، ونبدأ بالسبب المتعلق بعداء بني كعب للعتوب؛ فتروي المصادر أن السبب لهذا العداء هو رفض عبدالله بن صباح تزويج ابنته مريم إلى شيخ بن كعب ، وقد أغضبه هذا الرفض فأرسل حملة لمحاربة العتوب ، هذا التهديد الكعبي ثم هزيمة العتوب في المعارك التي خاضوها مع بني كعب كانت من أهم الأسباب التي دفعت آل خليفة إلى ترك الكويت(٥).

لكن المستر فرانسيس واردن Mr.F.Warden في كتابه «صور تاريخية» يرجع هجرة آل خليفة إلى تعاظم الثروة في أيديهم خاصة أنهم كانوا الفرع التجاري من العتوب، ومن ثم فالعامل الاقتصادي هو الذي دفع آل خليفة إلى قطع صلتهم بالمجموعة الأصلية حتى يتمكنوا من التمتع بثرواتهم وتطويرها في مكانٍ آخر بعيد عن آل صباح والجلاهمة(٦)، ويشير جون كيلي John kelly إلى ذلك أيضاً حيث يرى أن آل خليفة تركوا الكويت طلباً لمستوى أفضل من المعيشة(٧).

وهناك مصادر أخرى ترجع مغادرة آل خليفة الكويت إلى العامل المتمثل في طموح آل خليفة السياسي؛ فقد شعروا- على الرغم مما تم بين الفروع الثلاثة للعتوب من اتفاق على تولي آل صباح شؤون الحكم – أن فرع آل صباح حرمهم من

(٥) محمود، حسن سليمان. الكويت ماضيها وحاضرها. مرجع سابق. ص١٠٠.

(٦) أبو حاكمة، أحمد مصطفى. تاريخ شرق الجزيرة العربية (الكويت والبحرين). مرجع سابق. ص ٩٢-٩٣.

(٧) كيلي، جون. (١٩٥٦). بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٨٠، ج١، ترجمة: محمد أمين عبدالله. سلطنة عمان. ص٤٦.

هذا الطموح السياسي ، ويدلل أحمد أبو حاكمة على ذلك بقيام فيصل من فرع آل خليفة بتزويج إحدى بناته للشيخ صباح بعد انتخابه حاكماً أملاً في أن الحاكم الذي سيخلفه سيكون من فرع فيصل – أحد فروع آل خليفة –، ولكن اختيار عبدالله الصباح أثار ثائرة آل خليفة فقرروا مغادرة الكويت[٨].

استقر آل خليفة للمرة الثانية في مدينة الزبارة وقاموا بجهود كبيرة لتطوير هذا المقر الجديد، وجعلوها بالفعل قبلة التجارة ومنطقة جذب للنشاط التجاري في منطقة الخليج ، وكونوا ثروة هائلة دفعتهم إلى تقوية أنفسهم والاستيلاء على مناطق جديدة؛ فبمجرد نزولهم الزبارة شرع آل خليفة في بناء الحصون والأسوار التي بلغت – بحسب تقرير لوريمر Lorimer – عشرين حصناً تحيط بالمدينة على شكل دائرة مثل قلعة مرير والرقابات وأم السلاسل والثقاب وحصن فريحة ولحوان والعشة وعين محمد[٩]، ولم يكن آل خليفة هم الفرع الوحيد من العتوب، الذي ترك الكويت، بل جاء الفرع الثاني – الجلاهمة– للانضمام إلى آل خليفة على ساحل قطر، وقد أدرك آل صباح بعد مغادرة آل خليفة عظم الخسارة المادية التي لحقت بهم من فقد عضو مؤثر من أعضاء التحالف العتوبي؛ الأمر الذي دفعهم إلى التخلص من قيود حلفهم مع الجلاهمة، فامتنعوا عن مقاسمتهم الأموال، وانتهى الأمر بطردهم نهائياً من الكويت[١٠].

وفي بداية الأمر – مع نهاية عام ١٧٦٦م – استقبل آل خليفة أبناء عمومتهم – الجلاهمة – استقبالاً حسناً وأجروا لهم الرواتب بما يتناسب مع مركزهم ، غير أن الجلاهمة سرعان ما تمردوا مطالبين بزيادة حصتهم من المخصصات، وأدى رفض آل خليفة لمطالبهم إلى تركهم الزبارة ، وقام الجلاهمة في أعقاب ذلك

---

(٨) أبو حاكمة، أحمد مصطفى. تاريخ شرق الجزيرة العربية (الكويت والبحرين). مرجع سابق. ص ص ٩٤–١٠٥.

(9) J.G.Lorimer, Gazetter of the Persion Gulf, I historical,Calculta1913, p.870.

(١٠) الشيخ ، حسين خلف. (١٩٥٦). تاريخ الكويت السياسي . الكويت . ص٥٦.

بسلسلة من أعمال السلب والنهب ضد تجارة آل خليفة وممتلكاتهم[١١]. وتلا ذلك فترة تناسى فيها أبناء العمومة عداوتهم حتى دخول آل خليفة البحرين لتتجدد العداوات بعد ذلك.

وإذا كانت الأوضاع المضطربة التي مرت بها منطقة الخليج أواخر القرن الثامن عشر مهدت الطريق أمام آل خليفة للاستيلاء على جزيرة البحرين ، فإننا يجب أن نشير إلى أن الفروع الثلاثة للتحالف العتوبي قد شاركت وتعاونت مرة ثانية في العملية التي قادها آل خليفة لغزو البحرين وانتقالها من يد فارس إلى يد العرب ، فقد تعاون آل صباح والجلاهمة مع آل خليفة في فتح البحرين[١٢].

وعاد آل صباح إلى الكويت بينما انتظر الجلاهمة – لاعتقادهم أنهم قاموا بدور مهم في السيطرة على البحرين – أن يحصلوا على جائزة اشتراكهم، وطالبوا بأن يكون لهم نصيب في حكم الجزيرة ، ولما رفض آل خليفة هذا الطلب انسحب الجلاهمة إلى خور حسن على الساحل القطري، وتحت زعامة رحمة بن جابر الجلاهمة قاموا باعتداءات على سفن آل خليفة وتجارتهم[١٣].

وقدمت الظروف التي مر بها ساحل الخليج منذ استيلاء آل خليفة على البحرين الفرصة للجلاهمة للقيام بعمليات انتقامية ضد أبناء عمومتهم من آل خليفة وآل صباح ، وكان من أهم الأحداث التي مر بها ساحل شرق الجزيرة العربية أواخر القرن الثامن عشر هو تقدم السعوديين واستيلاؤهم على إقليم الأحساء عام ١٧٩٥م، وأحدث الوجود السعودي في الأحساء تطورات مهمة بالنسبة لآل خليفة؛ فقد أجبر السعوديون زعماء آل خليفة على ترك مدينة الزبارة والانتقال إلى البحرين ،

---

(١١) قاسم، جمال زكريا. (١٩٦٥). الخليج العربي. دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠– ١٩١٤م . ج٢ . القاهرة. ص٤٠.

(١٢) أبو حاكمة، أحمد مصطفى. تاريخ شرق الجزيرة العربية (الكويت والبحرين). مرجع سابق. ص١٥٠؛ F.Khuri,Tribes and state in Bahrien,Chieago ,1980, p.25.

(13) F.Khuri,op.cit, p.p.25 -26

وتفسير ذلك أن آل خليفة بعد فتح البحرين لم يستقروا بها بل عينوا حاكماً من قبلهم على الجزيرة وعادوا إلى مدينة الزبارة ، غير أن تقدم القوات السعودية على ساحل الخليج والاستيلاء على مدينة الزبارة عام ١٧٩٦م، أدى إلى تطور سياسي جديد في شرق الجزيرة العربية، وهو نقل مركز حكم آل خليفة إلى جزيرة البحرين(١٤).

وكان للامتداد السعودي على ساحل الخليج دور في زيادة المخاطر على نفوذ آل خليفة في البحرين وتزايد الصراعات بين أفراد قبيلة العتوب؛ فبعد استيلاء السعوديين على مدينة الزبارة ظهر رحمة بن جابر الجلاهمة وأعلن انحيازه هو وأتباعه إلى السعوديين(١٥).

وقد انتهز رحمة فرصة العداء بين السعوديين وحكام العتوب في البحرين والكويت في الحصول على مساعدة السعوديين لمواصلة أعماله العدوانية ضد آل خليفة وآل صباح، ولعل أكبر دليل على ذلك أنه في العام نفسه الذي أعلن فيه رحمة ولاءه للسعوديين عام ١٨٠٩م اقترف الكثير من الاعتداءات على سفن العتوب؛ فقد استولى في هذا العام على أكثر من عشرين سفينة كويتية وبحرينية، وقتل جميع بحارتها بما في ذلك نجل الشيخ عبدالله آل صباح حاكم الكويت(١٦).

من جهة أخرى فإن الأعمال الانتقامية لرحمة في البحر تحت حماية السعوديين أزعجت السلطات البريطانية على الرغم من أن رحمة وأتباعه ركزوا هجماتهم على السفن العربية ولم يهاجموا أي سفينة تحمل العلم البريطاني، غير أن العنف الذي مارسه رحمة ضد سفن أقاربه دفع البريطانيين للخوف من أن تطول أعماله وهجماته السفن البريطانية، لذلك تعالت الأصوات في حكومة الهند تصف رحمة بأنه أكثر تطرفاً من القواسم، ويقف في الصف المعادي لبريطانيا، ولابد من وضع حد

(١٤) عبدالله، محمد مرسي. (١٩٧٨). إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى. القاهرة. ص ١٢٢-١٢٣.

(١٥) المرجع السابق. ص ص ١٢٣-١٢٤.

(16) I.O.R,R/15/1/183,Bahrien Affairs. p.p. 9-12.

لنشاطه وألا تقف بريطانيا موقف التخاذل من هذه الممارسات العدائية على سبيل مجاملة الأمير السعودي في الدرعية[١٧]، لكن المشكلة بالنسبة للبريطانيين تمثلت – كما سبق أن أشرنا – في أن رحمة وأتباعه – بعكس القواسم – لم يهاجموا السفن البريطانية، لذلك تردد البريطانيون في مهاجمة معقله في خور حسن، من ناحية أخرى فإن معقل رحمة كان شديد التحصين ضد أي محاولة لإخضاعه؛ ففي مارس ١٨١٠م زارت السفينة البريطانية فيتال رويال V.Royal وعلى متنها الكابتن واردن C.Warden مدينة خور حسن وبعد فحص المكان كتب لحكومة الهند (إن موقع رحمة ومناعته الطبيعية تجعل أي هجوم عليه في منتهى الصعوبة)[١٨].

على أية حال لم يكن رحمة تحت أية ظروف ليتنازل عن مواصلة أعماله الانتقامية، وسعى في سبيل ذلك إلى التحالف وطلب المساعدة من أية قوة في الخليج، وقد اكتفت السلطات البريطانية في بداية الأمر بالاتصال بالأمير السعودي وطالبته بالضغط على رحمة وأتباعه للكف عن عمليات السلب والنهب في مياه الخليج ، ومنذ ١٨١١م، وبسبب المتاعب التي تعرض لها السعوديون مع تقدم القوات المصرية في الجزيرة العربية، ولإصرار رحمة على الاستمرار في ممارسته العدائية نجده يحول طلبه للمساعدة إلى قوة أخرى، ففي عام ١٨١٦م وقعت خلافات بين رحمة و السعوديين ترك الأول على أثرها خور حسن ونقل مقره إلى مدينة بوشير على الساحل الفارسي للخليج[١٩].

ومن الملاحظ أن رحمة كان دائماً يبحث عن المساعدة من القوى المعادية لآل خليفة وآل صباح ، لذا لجأ إلى السعوديين في بداية الأمر لأنهم كانوا معادين لعتوب آل خليفة وآل صباح بسبب موقفهم من بني خالد ومساعدتهم لهم في حروبهم ضد

---

(17) Ibid. p.p.13-14

(١٨) أبو حاكمة ، أحمد مصطفى. تاريخ شرق الجزيرة العربية (الكويت والبحرين). مرجع سابق. ص١٥١.

(19) I.O.R,Bomby Government,Vo1.xx1(1694-1844) p.p.171-172.

السعوديين[٢٠]، وعندما وقع خلاف بين رحمة والسعوديين بسبب الضغط السعودي عليه بحث عن قوة أخرى معادية لآل خليفة بصفة خاصة، فلجأ إلى الساحل الفارسي طلباً لمساعدة الفرس المعادين لآل خليفة منذ استيلائهم على البحرين.

من جهة أخرى فإن زعماء آل خليفة في بحثهم عن قوة تحميهم لكثرة الطامعين في ممتلكاتهم قدمت لهم الظروف التي مر بها الخليج فرصة عام ١٨٢٠م بالانضمام إلى معاهدة السلم العام التي عقدتها السلطات البريطانية مع شيوخ الساحل العماني، وعلى الرغم من عدم اشتراك البحرين في الاضطرابات البحرية في مياه الخليج، التي وصفتها بريطانيا بالقرصنة ودفعتها للتدخل العسكري وعقد اتفاقية السلم عام ١٨٢٠م، فإن زعماء الجزيرة انضموا إلى المعاهدة في العام نفسه.

إن استمرار عداء رحمة بن جابر لآل خليفة في البحرين وبحثه المستمر عن مكان يشن منه أعماله العدائية ضد البحرين قاده إلى مدينة الدمام للمرة الأولى منتهزاً فرصة الظروف التي كان يمر بها السعوديون بسبب الهجوم المصري على قواعدهم في نجد، ففي عام ١٨١٨م ترك رحمة الساحل الفارسي إلى الساحل العربي للخليج وأقام وأتباعه في مدينة الدمام[٢١]، متخذاً منها معقلاً لمواصلة عداءاته ضد آل خليفة في البحرين ، ومنذ ذلك التاريخ بدأت هذه المدينة تلعب دوراً مؤثراً في أحداث الجزيرة.

لقد كان اختيار مدينة الدمام اختياراً موفقاً من قبل رحمة؛ فالمدينة لا تبعد عن الجزيرة أكثر من عشرة أميال[٢٢]، يضاف إلى ذلك أن معظم سكان الدمام والقطيف – آنذاك – كانوا من الشيعة، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن دخول آل خليفة إلى البحرين جاء في أعقاب صراع بين أهل جزيرة البحرين من السنة بزعامة أحمد بن

---

(٢٠) حاكمة، أحمد. تاريخ شرق الجزيرة العربية (الكويت والبحرين). مرجع سابق. ص١٥٢.

(٢١) وهبة، حافظ. المرجع السابق . ص١١٢.

(22) R.Narop and others. (1977). Area Hond book for the Perian Gulf states, Washington, p.p.15-16.

ماجد البلادي ، وبين الشيعة الذين كان يتزعمهم مدن الحفصي الذي كانت السلطة الروحية في الجزيرة معقودة له، وقد أثارت زعامة الشيعة للجزيرة زعماء السنة الذين قرروا التخلص من الزعيم الشيعي، ولكن لما كان السنة أقلية في الجزيرة فقد اضطروا إلى إرسال وفد إلى آل خليفة في الزبارة للاستعانة بهم[٢٣]. وتشير المصادر إلى أنه بعد نجاح آل خليفة بمساعدة سنة الجزيرة من الاستيلاء عليها فر الكثير من شيعة البحرين إلى إقليم الأحساء، وأقاموا في مدينتي الدمام والقطيف[٢٤].

يضاف إلى ذلك أن اتخاذ رحمة للدمام مقراً له لمواصلة أعماله الانتقامية ضد البحرين جاء متوافقاً مع انهيار القوة السعودية وضياع نفوذ السعوديين في الأحساء متخلصاً بذلك من الضغط السعودي عليه لإيقاف أعماله البحرية العدوانية في مياه الخليج.

وتشير المصادر إلى انضمام الكثير من سكان القطيف والدمام لرحمة في أعماله الانتقامية ضد زعماء آل خليفة؛ ففي العام نفسه الذي انتقل فيه رحمة إلى الدمام ١٨٢٨م باشر حملاته ضد سفن آل خليفة ، بل إن انضمام البحرين إلى معاهدة السلم العام لم يوقف رحمة؛ ففي عام ١٨٢١م هاجم هو وأتباعه ومن انضم إليهم من سكان الدمام أسطول صيد تابعاً لحكام البحرين واستولى على سبع سفن وقتل عدداً كبيراً من بحارتها[٢٥].

وعلى إثر اعتداءات رحمة تدخلت السلطات البريطانية في الخليج وطالبته بوقف اعتداءاته التي لا تنسجم مع شروط معاهدة ١٨٢٠م ، وربما كان عدم توقيع رحمة عليها ، وتوقيع البحرين على المعاهدة هو الذي دفع رحمة إلى رفض طلب السلطات البريطانية. وحمل هذا الرفض تحدياً لها، غير أن عدم توافر السفن

(٢٣) قاسم ، جمال زكريا. الخليج العربي: دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ – ١٩١٤. مرجع سابق. ص ص ٤٨–٤٩.

(24) R.Narop and others , op.cit, p.18.

(25) I.O.R,R/15/1/183,Bahrien Affairs, p.p.6

اللازمة لمواجهة هذا التحدي جعل السلطات البريطانية تؤثر عدم التدخل، واكتفت بالتوسط بين رحمة وحكام البحرين، وفي فبراير ١٨٢٤م عقد اجتماع حضره رحمة والشيخ عبدالله بن أحمد – حاكم البحرين آنذاك – في حضور المقيم البريطاني في الخليج، وتم الاتفاق على وقف العمليات العدائية بين الطرفين في مياه الخليج وإعادة السفن المنهوبة من قبل رحمة إلى البحرين[٢٦].

لم يلتزم رحمة بتعهداته، فلم تعد السفن التي تم الاتفاق عليها إلى البحرين، بل وسع من اعتداءاته في مياه الخليج ؛ ففي عامي ١٨٢٤ و١٨٢٥م قام بأعمال عدوانية ضد أهل القطيف بسبب توقفهم عن دفع الإتاوة التي كانوا يؤدونها له في مقابل حماية تجارتهم في البحر. ولما كان رحمة يعاني في ذلك الوقت نقصاً في موارده المالية ، فقد قام في عام ١٨٢٤م بإجبار أهل القطيف على دفع الإتاوة بعد استيلائه على سفنهم ورفض إعادتها لهم إلا إذا دفعوا الأموال له، وقرب نهاية العام التالي ١٨٢٥م ظهرت المشكلات – مرة ثانية – حول الإتاوة، واستولى مرة أخرى على سفن أهل القطيف ، ولم يلتفت إلى تحذيرات المقيم البريطاني الذي أرسل سفينتين حربيتين بريطانيتين إلى ميناء الدمام لإرهاب رحمة ، وأبلغه المقيم البريطاني «.. إنه إذا لم يكف عن هذه الغارات والاعتداءات البحرية فستتخذ السفن الحربية عملاً حاسماً ضده»[٢٧].

ومن الملاحظ أنه على الرغم من تهديدات السلطات البريطانية لرحمة فإن قرار هذه السلطات كان متردداً؛ فقد أعلن المقيم – وهذا أمر غريب – أن السلطات البريطانية لن تقوم بأي عمل ضد رحمة إلا إذا امتدت غاراته إلى سفن أخرى غير سفن أهل القطيف[٢٨]. هذا التردد البريطاني دفع رحمة إلى تجاهل تحذيرات المقيم، وقد تأكد من ذلك عند مغادرة السفن الحربية البريطانية مدينة الدمام.

---

(٢٦) كيلي ، جون. بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨٨٠. مرجع سابق. ص٢٠٢.

(٢٧) الريحاني ، أمين. ملوك العرب . ج٢. بيروت . ص٢٢٩.

(28) II.O.R,Bomby Government,Vo1.xx1, p.p.9.

والأغرب أيضاً في موقف السلطات البريطانية أنه عندما طلب الشيخ عبدالله بن أحمد ورحمة من المقيم البريطاني التوسط بينهما مرة ثانية لعقد هدنة اشترط المقيم أن يكون أهل القطيف طرفاً في هذه الهدنة ، ولما رفض رحمة هذا الشرط فشل المشروع ولم تتدخل السلطات البريطانية وتركت الأمر عند هذا الحد[٢٩].

على أية حال، فإن فشل الجهود لإيقاف أعمال رحمة البحرية التي استمر فيها طوال عام ١٨٢٦م دفع آل خليفة في البحرين إلى اتخاذ قرار بالتخلص نهائياً منه، وبخاصة أن معقله في الدمام بالقرب من البحرين شكل تهديداً واضحاً لحكام الجزيرة من آل خليفة، وفي نهاية عام ١٨٢٦م هاجمت قوات آل خليفة وآل صباح مدينة الدمام، وحاول رحمة الحصول على مساعدة من سلطان مسقط إلا أن الأخير رفض بعد انضمام آل خليفة إلى معاهدة السلم عام ١٨٢٠م، كما فشل رحمة أيضاً في الحصول على مساعدة من فارس بل اتهمته السلطات الفارسية بأنه خارج على القانون[٣٠].

هكذا يكون آل خليفة قد استفادوا من الانضمام للمعاهدة البريطانية؛ حيث أمنوا أنفسهم بشكل ما من قبل مسقط وفارس، والأهم أنهم كسبوا تغاضي السلطات البريطانية عن هجومهم للقضاء على خطر رحمة بن جابر الجلاهمة، واستولت قوات آل خليفة وآل صباح على مدينة الدمام، واضطر رحمة إلى ركوب سفينته والخروج إلى مياه الخليج وحاصرته سفن التحالف من كل جانب، وعندما شعر زعيم الجلاهمة أنه لن يتمكن من الانتصار على أعدائه، ولخوفه من الوقوع في الأسر قام بتدمير السفينة التي كان على متنها هو وأتباعه، وبذلك انتهت حياة هذا الرجل الذي ظل – على حد قول جون كيلي-: «ينشر الرعب والخوف في مياه الخليج لسنوات طويلة ، وكانت نهايته بنفس البشاعة والقسوة التي طبعت حياته بروح الشجاعة وتحدي الأخطار»[٣١].

(29) Ibid, p.10.

(30) F.Khuri,op.cit, p.p.26-27.

(٣١) كيلي ، جون. بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨٨٠. مرجع سابق. ص ص ٣٥٢-٣٥٤.

٣- دور الدمام وآل سعود في النزاع الأسري في البحرين:

بعد القضاء على رحمة وخطره بقيت قوات البحرين في مدينة الدمام التي ظلت في يد حكام آل خليفة حتى عام ١٨٣٠م، وتفسير ذلك أن السعوديين لم يفقدوا سيطرتهم في الجزيرة العربية أكثر من ست سنوات منذ دخول قوات محمد علي مدينة الدرعية عام ١٨١٨م؛ ففي عام ١٨٢٤م نجح تركي بن عبدالله في إخضاع نجد بعد حروب متواصلة مع قوات محمد علي والقبائل المعادية لآل سعود، وفي ١٨٢٩م تمكن تركي وابنه فيصل من الاستيلاء على الأحساء من شيوخ بني خالد الذين عينهم إبراهيم باشا بن محمد علي على هذه الجهات، وفي العام التالي دعا تركي الشيخ عبدالله بن أحمد حاكم البحرين إلى الاعتراف بسلطة آل سعود ودفع الزكاة للدرعية وسحب قواته من مدينة الدمام وتسليم قلعتها للسعوديين(٣٢).

كانت مطالب تركي لحاكم البحرين تعني استعادة نفوذ آل سعود إلى ما كان عليه الحال قبل قدوم جنود محمد علي إلى الجزيرة العربية، وكان المتوقع أن يرفض حاكم البحرين مطالب الأمير السعودي معتمداً على علاقاته مع بريطانيا منذ معاهدة عام ١٨٢٠م، إلا أن تركي بدأ حكمه باتصالات مع السلطات البريطانية في الهند عبر فيها عن رغبته في إقامة علاقات ودية مع البريطانيين، وبناء على ذلك فإن السلطات البريطانية بسبب موقف تركي الودي من ناحية ولاعتقاد البريطانيين أن دفع الزكاة لحاكم الدرعية لا يتعارض مع معاهدة ١٨٢٠م -لم تقدم أية مساعدة لحاكم البحرين في هذا الأمر، وهكذا اضطر الشيخ عبدالله بن أحمد إلى الموافقة على مطالب الأمير السعودي من دفع الزكاة المقررة وسحب قواته من الدمام(٣٣).

وعلى الرغم من موافقة حاكم البحرين على المطالب السعودية فإن سياسة حكام آل خليفة المتذبذبة بين القوى المختلفة في الخليج جعلت آل

(٣٢) قاسم، جمال زكريا. الخليج العربي: دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤. ص٥١.
(٣٣) المرجع السابق نفسه. ص٥٢.

سعود لا يثقون في حكام البحرين، ولذلك لجؤوا لفرض ضغوط عليهم . ومن واقع تجربة الدمام السابقة قرر الأمير السعودي إعادة دورها في الضغط على البحرين؛ فبمجرد انسحاب قوات البحرين من المدينة سمح السعوديون لبشر بن رحمة الجلاهمة – ابن العدو السابق لحكام البحرين – بدخول المدينة هو وأتباعه وسلموه قلعة الدمام حتى يظل مصدر إزعاج لآل خليفة في البحرين[٣٤].

وفي عام ١٨٣١م، ومع استمرار عدم الثقة بين السعوديين وآل خليفة سمح السعوديون لبشر بن رحمة بالاستقرار في جزيرة تاروت المواجهة لمدينة القطيف، كما سمحوا له ببناء قلعة في دارين ، وسرعان ما لحق ببشر بن رحمة في تاروت أتباعه، ومعظمهم من أعداء زعماء آل خليفة[٣٥].

ومن جانبهم فإن آل خليفة قاموا بكثير من الأعمال التي أدت إلى اضطرابات على ساحل الأحساء؛ فبتشجيع منهم قامت بعض القبائل –مثل قبيلة بني عمير– بالاستقرار في مدينة الدمام ومحاصرة القطيف؛ مما سبب مضايقات كثيرة للسعوديين، وفي عام ١٨٣٣م انتهز الشيخ عبدالله بن أحمد رحيل بشر بن رحمة من جزيرة تاروت ليقوم بعدة أعمال عدائية ضد السعوديين؛ فحاصر – بمساعدة قبيلة بني عمير – موانئ السعوديين في القطيف والعقير ، كما انتهز فرصة اغتيال الأمير السعودي تركي بن عبدالله فضم جزيرة تاروت للبحرين، وفشلت محاولات الأمير السعودي الجديد فيصل بن تركي في استردادها حتى عام ١٨٣٦ عندما توصل الطرفان إلى تفاهم تعهد فيه شيخ البحرين بدفع الزكاة ورفع الحصار عن مدن الأحساء وإعادة تاروت وإعادة فتح طريق المواصلات بين البحرين والأحساء[٣٦].

(34) F.Adamyait,Bahrien Islands, p.p.42-43

(35) I.O.R,R/15/1/183,Bahrien Affairs, p.p.7-8

(36) Ibid, p.11

لكن سلطة السعوديين في شبه الجزيرة العربية سرعان ما انتهت وللمرة الثانية على يد محمد علي الذي وجه اهتمامه إلى إعادة إخضاع هذه الأنحاء بعد عقد صلح كوتاهية مع الدولة العثمانية عام ١٨٣٣م ، وقد أتاحت هذه المعاهدة سحب قسم كبير من القوات المصرية من آسيا الصغرى وإرسالها إلى الجزيرة العربية[٣٧]، واستخدم محمد علي – هذه المرة – أسلوباً سبق أن جربه في مصر ضد المماليك وضد زعماء الشعب المصري وهو بذر الخلاف بين أبناء البيت السعودي بتأييد الأمير خالد بن سعود ضد الأمير فيصل بن تركي ، ففي عام ١٨٣٦م توجه خالد بن سعود إلى المدينة المنورة حيث سبقته أوامر محمد علي إلى إسماعيل باشا– حاكم المدينة – بتزويد خالد بما يحتاجه من الجنود والعتاد، وفي العام التالي تحرك خالد نحو الرياض وهزم قوات فيصل التي تقهقرت إلى الأحساء، ثم تقدمت القوات المصرية صوب الأحساء وانتصرت على فيصل في معركة «دلم»، واستسلم فيصل للقوات المصرية[٣٨].

أما البحرين فإن وصول جيوش محمد علي إلى ساحل الأحساء أوجد ظروفاً جديدة تفاعلت مع ظروفها الداخلية وأنتجت وضعاً جديداً أثر على علاقاتها وأحوالها معاً؛ فخلال فترة الثلاثينيات من القرن التاسع عشر كان الشيخ عبدالله بن أحمد هو حاكم البحرين بعد وفاة أخيه وشريكه في الحكم الشيخ خليفة بن سلمان، وكان حكم الشيخ عبدالله ضعيفاً فلم يستطع أن يكبح جماح أبنائه وأبناء أخيه مما اضطر الكثير من أهل الجزيرة إلى الفرار منها بسبب اضطهاد آل خليفة، وقد اتجه معظم الفارين كالعادة إلى ساحل الأحساء وخاصة القطيف والدمام، كذلك شهد حكم عبدالله بداية من العام ١٨٣٥م، تمرد القبائل القطرية من آل بوعلي وآل بوعينين ضد حاكم البحرين، وفشلت المساعي لعقد صلح مع هذه القبائل لإصرار الشيخ عبدالله بن أحمد على عودة المتمردين لحكمه ونفوذه[٣٩].

---

(37) C.U.Aitchison. (1933). A collection of treaties, engagements and sands relating to India and neighboring countries,Delhi,vol X1,p.p.12-14

(٣٨) بن بشر، عثمان، (١٩٦١). عنوان المجد في تاريخ نجد . بيروت . ص٤٨.

(39) J.G.Lorimer,op.cit, p.p.794-795.

لقد وجد شيخ البحرين في تقدم القوات المصرية نحو شرقي الجزيرة العربية فرصة لممارسة عادة حكام آل خليفة في اللعب السياسي بين القوى المختلفة، وتعلل برفض السلطات البريطانية بتحقيق مطالب الشيخ وإجبار المتمردين على حكمه بالعودة فأعلن الشيخ قبوله النفوذ المصري ووافق على دفع الزكاة للمصريين الذين أنهوا حكم السعوديين في نجد والأحساء[٤٠].

كان قبول شيخ البحرين للنفوذ المصري بداية النهاية لهذا الحاكم ولاسيما أن التمرد ازداد ضد حكمه، فقد انضم للمتمردين – خاصة بعد نهاية الحكم المصري– الشيخ محمد بن خليفة نجل شريك الشيخ عبدالله في الحكم – خليفة بن سلمان الذي توفي عام ١٨٣٤م–، واستطاع محمد بن خليفة الذي غادر البحرين لخلافاته مع عمه حول مسألة زيادة الضرائب على الأهالي حتى يتمكن من دفع الأموال للمصريين – تشكيل حلف من أعداء الشيخ عبدالله بن أحمد من قبائل آل بوعلي وآل بوعينين، وانضم لهم بشر بن رحمة الجلاهمة؛ وبموافقة السلطات البريطانية التي ساءها ما أقدم عليه عبدالله من إعلان خضوعه للمصريين ، شن محمد بن خليفة هجومه على البحرين في بداية عام ١٨٤٣م، وأرغم عبدالله على التسليم، وتم طرده من الجزيرة، وتولى محمد بن خليفة الحكم[٤١].

وخلال فترة النزاع بين محمد بن خليفة وعمه أبدى السعوديون استعدادهم للوقوف إلى جانب محمد بن خليفة، ورد عبدالله على ذلك بمحاصرة ساحل الأحساء وكانت قواته لا تزال تسيطر على مدينة الدمام ، بالإضافة إلى ذلك قام بمنح بعض سكان الأحساء الذين كانوا على خلاف مع السعوديين، مأوى لهم في البحرين، ونجح أيضاً في أثناء حصاره للأحساء في الاستيلاء– مرة أخرى– على ميناء العقير[٤٢].

---

(40) Ibid, p.796.

(٤١) كيلي، جون. بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨٨٠. مرجع سابق. ص ص ٦٦٣–٦٦٤.

(42) I.O.R,R/15/1/183,Bahrien Affairs, p.p.13.

وبعد جلاء قوات محمد علي عن الأحساء شعر عبدالله بن أحمد بأن الأمور لن تسير في صالحه؛ فهناك تمرد ضده من الداخل وتحالف ضده في الخارج ، وقد دفعته هذه الظروف إلى أن يعرض على السعوديين تسوية خلافاته معهم، من خلال إعادته ميناء العقير لهم، على أن يقفوا على الحياد في صراعه مع محمد بن خليفة وحلفائه[٤٣].

وبالفعل تطورت الأمور في غير صالح الشيخ عبدالله بن أحمد بوصول الأمير فيصل بن تركي إلى الحكم في نجد ، وفي أوائل عام ١٨٤٣م حاول فيصل الإفادة من النزاع بن عبدالله بن أحمد ومحمد بن خليفة ، وكان من الطبيعي أن يقف فيصل إلى جانب محمد بن خليفة ، وتمكن من طرد عمه من البحرين . وقد لجأ الشيخ المطرود إلى مدينة الدمام للإقامة فيها، ومن ثم استعادة حكمه في البحرين ، وكانت البداية في يونيو ١٨٤٣م عندما شن عبدالله غارات بحرية على سفن البحرين وتجارتها من ملجئه في الدمام[٤٤].

من جانبه عدّ الأمير فيصل مدينة الدمام حقاً شرعياً له، ولذلك صمم على ضرورة استعادتها وطرد عبدالله بن أحمد منها، بسبب قبول الأخير للنفوذ المصري. وفي هذا الصدد اتخذ الأمير فيصل عدة إجراءات لإجبار عبدالله بن أحمد على مغادرة الدمام . فمن ناحية لم يمانع الأمير من قيام حاكم البحرين الجديد وحلفائه بإرسال أسطول لمحاصرة الدمام ومنع سفن عبدالله بن أحمد من القيام بأية عمليات بحرية ضد سفن البحرين، كما طالب الأمير فيصل حاكم القطيف الذي عينه بمطاردة أبناء الشيخ عبدالله ، وقد تمكن حاكم القطيف بالفعل من القبض على محمد بن عبدالله، عندما حاول الإبحار من الدمام، كما قبض على الابن الثاني للشيخ عبدالله – علي – الذي أبحر من لنجة على الساحل الفارسي للانضمام لأبيه في مدينة الدمام[٤٥].

(43) Ibid, p.p.13-14

(44) Ibid, p.14.

(٤٥) الرشيد، عبدالعزيز. (١٩٥٩). تاريخ الكويت ، القاهرة. ص١٢٧.

وفي النهاية قرر الأمير فيصل إعلان الحرب على الشيخ عبدالله بن أحمد وأبنائه في الدمام ؛ فحاصر المدينة من البر في الوقت الذي كان محمد بن خليفة وحلفاؤه يحاصرون المدينة من البحر ، وقد حاول شيخ الكويت جابر الصباح (١٨١٣ – ١٨٥٩) – الذي كانت تربطه علاقات ودية مع الشيخ عبدالله بن أحمد – إرسال نجدة له من خلال بعض القوارب المحملة بالمؤن والعتاد الحربي إلى الدمام، وكان من الممكن أن يتسبب قيام الشيخ محمد بن خليفة بالاستيلاء على سفن الكويت في قيام خلاف بين شيخي الكويت والبحرين، لولا تدخل السلطات البريطانية التي طلبت من شيخ البحرين إعادة القوارب وحمولتها إلى شيخ الكويت[٤٦].

تسبب الحصار البري والبحري للدمام في عدم وصول أية إمدادات؛ مما أجبر الحامية في قلعة الدمام التي كان يقودها ابنا الشيخ عبدالله بن أحمد – مبارك وناصر – على عرض الاستسلام الذي رفضه الأمير فيصل بن تركي. وفي هذه الأثناء حاول الشيخ عبدالله بن أحمد – الذي كان موجوداً في ذلك الوقت في مدينة بوشهر على الساحل الفارسي – القيام بمحاولة أخيرة تمثلت في إرسال إمدادات إلى أبنائه في قلعة الدمام ، إلا أن المحاصرين للدمام استولوا على هذه الإمدادات؛ مما دفعه إلى الدخول في مفاوضات جديدة للاستسلام، على أن يسمح الأمير السعودي للأفراد المحاصرين بترك مدينة الدمام أحياء[٤٧].

هكذا عادت الدمام إلى حوزة الأمير السعودي فيصل بن تركي بعد فترة طويلة من خضوعها للبحرين ، ولم تتمكن أية جماعة من جماعات آل خليفة حتى من الإقامة بها؛ فمحمد بن خليفة عاد إلى البحرين ، وعبدالله بن أحمد وأبناؤه عبروا الخليج إلى الساحل الفارسي، كما خابت آمال بشر بن رحمة الجلاهمة في استعادة أملاك أبيه– جابر بن رحمة الجلاهمة – في الدمام، التي من أجلها تحالف مع الشيخ محمد بن خليفة الذي وعده باستعادته لهذه الأملاك مقابل مساعدته له ضد عمه عبدالله بن أحمد[٤٨].

---

(٤٦) كيلي، جون. بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨٨٠. مرجع سابق . ص٦٦٥.

(47) J.G.Lorimer,op.cit, p.p.800.

(48) Ibid., p.800.

إن التحالف الذي تم بين محمد بن خليفة وفيصل بن تركي، ونتج عنه تأكيد حكم الأول في البحرين وعودة الدمام إلى حكم الثاني– لم يستمر طويلاً. وارتبط ذلك – في واقع الأمر – بشخصية كلا الزعيمين ، فمحمد بن خليفة بعد طرد منافسه من الدمام وزوال خطره وتهديده حكمه ، ولطموحاته الشخصية، حاول الاستقلال عن الحكم السعودي على الرغم من الاتفاق على دفع الزكاة للسعوديين. ومن ناحيته كان الأمير فيصل حريصاً على تأكيد زعامته على الساحل الشرقي للجزيرة العربية من قطر حتى الأحساء بما في ذلك البحرين . وقد أدى تشبث كل طرف برغباته في تبدل الأدوار؛ بأن أصبح أعداء الأمس أصدقاء اليوم، والعكس.

٤- الدمام ووضع أسس الحماية البريطانية على البحرين:

شهدت الستينيات من القرن التاسع عشر أحداثاً مهمة أثرت كثيراً في حكم جزيرة البحرين، كان أهمها تدهور العلاقة بين قطر والبحرين من ناحية، وتثبيت الحكم السعودي على ساحل الأحساء بزعامة فيصل بن تركي من ناحية أخرى، وفي الوقت نفسه ساءت العلاقة بين أفراد الأسرة الحاكمة في البحرين بصورة أكبر من ذي قبل؛ الأمر الذي دفع – مرة أخرى– بعض زعماء الأسرة للعودة إلى مدينة الدمام والإقامة فيها؛ بغرض الاستعداد للهجوم على البحرين؛ مما دفع بريطانيا لاتخاذ إجراءات شديدة بشأن مدينة الدمام وجزيرة البحرين.

منذ عودة حكم فيصل بن تركي إلى ساحل الأحساء أعلن سكان شبه جزيرة قطر ولاءهم للأمير السعودي ، في الوقت نفسه بدأت الخلافات بين أهل قطر والشيخ محمد بن خليفة عندما حاول شيخ البحرين إجبار أهل قطر على دفع ضرائب جديدة، وحاول شيخ البحرين استخدام القوة لتنفيذ أهدافه في قطر إلا أن وجود قوة سعودية بالقرب من مدينة الدوحة أفشل خطط حاكم البحرين، واضطر إلى الموافقة على شروط السعوديين بدفع جزية سنوية لآل سعود في الرياض[٤٩].

(٤٩) الشملان، سيف مرزوق. (١٩٥٩). من تاريخ الكويت. القاهرة. ص١٢٧.

وهكذا كانت المساعدة السعودية لأهل قطر مشجعة لهم على الثورة ضد شيخ البحرين كلما وقعت مظالم ضدهم من شيوخ آل خليفة.

لم يكن محمد بن خليفة ليسمح بأن تخلع قطر تبعيتها له وتطلب الحماية من آل سعود؛ فبجانب طموحات هذا الشيخ ونظره إلى قطر على أنها خط الدفاع الأول عن البحرين ضد السعوديين ، وأنه إذا وقع تمرد في قطر ضد سلطته فإن المساعدة المتوقعة من السعوديين لهذا التمرد ستكون خطراً على حكم آل خليفة في البحرين ، ولذلك سعى الشيخ محمد إلى إحباط أية محاولة للخروج عليه في قطر، وفي سعيه هذا ارتكب الشيخ عدة أخطاء . ففي أواخر عام ١٨٥٩م توقف محمد بن خليفة عن دفع الزكاة إلى الأمير السعودي فيصل بين تركي، ومن ناحية أخرى – وكعادة حكام البحرين – قام الشيخ بعدة مناورات مع الفرس والعثمانيين عندما استقبل ممثلين لهم في المنامة ، وأخيراً تشدد الشيخ مع أهل قطر وبدأ في معاملتهم معاملة سيئة.

كانت الخطوات التي اتخذها الشيخ محمد –خاصة ما يتعلق بالامتناع عن دفع الجزية للسعوديين– بداية الخلاف بين حلفاء الأمس – فيصل بن تركي ومحمد بن خليفة–، وجاء رد فعل الأمير السعودي بالسماح لمحمد بن عبدالله – الذي قاد المعارضة ضد محمد بن خليفة بعد وفاة والده عبدالله بن أحمد – بالإقامة في مدينة الدمام، وأمده بما يزيد على ألف مقاتل لمهاجمة البحرين[٥٠].

إن التهديد بمهاجمة البحرين من الدمام بمساعدة سعودية دفع السلطات البريطانية في الخليج إلى التحرك لمواجهة الموقف؛ لإدراكها أنه إذا ما قدر لفيصل بن تركي النجاح في خططه ضد البحرين فسيشكل هذا تهديداً لمصالح بريطانيا في المنطقة كلها[٥١]، كما أدركت السلطات البريطانية أن إعلان شيخ البحرين ومناوراته مع الفرس والعثمانيين كان – في حقيقة الأمر– محاولة منه لجذب انتباه السلطات البريطانية والضغط عليها لتقديم المساعدة له إذا تعرض لهجوم من قبل السعوديين.

(50) T.Farah. (1979). Protection and Politices in Bahrein ,London, p.80.

(51) I.O.R,R/15/1/183,Bahrien Affairs,p.p.22.

وعندما تلقى المقيم البريطاني في الخليج فيلكس جونز F.Johns أنباء الاستعدادات الجارية في القطيف والدمام لمهاجمة البحرين أرسل السفينة البريطانية فوكلاند Fokland إلى البحرين لمراقبة الموقف ، ووجه المقيم تحذيراً إلى محمد بن عبدالله والأمير السعودي من مغبة أي هجوم على البحرين من الدمام، وأصدر أوامره إلى السفن البحرية البريطانية في مياه الخليج بمصادرة أي سفينة تعود ملكيتها إلى محمد بن عبدالله ، وأخيراً ، طالب المقيم حكومة بومباي باتخاذ الإجراءات اللازمة لإبعاد محمد بن عبدالله من مدينة الدمام بغض النظر عن موقف الأمير فيصل بن تركي[٥٢].

أغضبت التحذيرات البريطانية الأمير فيصل بن تركي الذي نظر إلى الأمر على أنه خلاف مع أحد أتباعه، الذي توقف عن الالتزام بتعهداته وتوقف عن دفع الزكاة، وقد بنى الأمير رأيه هذا على موقف سابق للسلطات البريطانية اتسم بالحياد بشأن موضوع الزكاة[٥٣]. إلا أن الملاحظ أن الأمير لم ينتبه إلى أن الموقف تغير وأن مناورات شيخ البحرين فرضت ضغوطاً جديدة على السلطات البريطانية ودفعتها إلى تغيير موقفها بغرض إثبات قدرتها على حماية البحرين حتى لا يلجأ الشيخ إلى قوة أخرى؛ مما يهدد مصالح بريطانيا في الخليج، ولذلك جاء رد المقيم جونز Johns ..: «إن هدف بريطانيا هو حفظ الأمن والنظام تجاه النزاعات القائمة في الخليج ، .. وإنها مستعدة للقضاء على أي خطر يهدد البحرين من أية قوة محلية أو أجنبية وبكل الوسائل المتاحة»[٥٤]، واستجابت سلطات الهند البريطانية لمطلب المقيم جونز، وأصدرت له أمراً يقضي بطرد محمد بن عبدالله من الدمام بالقوة بحجة أنه يمثل أحد عناصر عدم استقرار المنطقة بأكملها، وفي يونيه ١٨٦١م طلبت حكومة الهند الاتصال للمرة الثانية بكل من فيصل بن تركي ومحمد بن عبدالله ضرورة مغادرة الأخير لميناء الدمام[٥٥].

(52) Ibid., p.23.

(53) TF-Adamyait,op.cit,p.p.45.

(54) I.O.R,R/15/1/183,Bahrien Affairs, p.p.28.

(55) Ibid., p.31.

لقد كان أقصى ما تخشاه السلطات البريطانية أن يؤدي أي تدخل عسكري لها في الدمام إلى جر بريطانيا إلى حرب مع السعوديين ، من جهة ثانية كان هناك ضغط بسبب اتصال محمد بن خليفة بكل من فارس والدولة العثمانية، ولذلك قرر المقيم البريطاني القيام بمناورة محدودة عندما لم يصله رد من الأمير فيصل ولا من محمد بن عبدالله، وأعطى انطباعاً برفض الاثنين للإنذار البريطاني، لذلك توجه المقيم جونز بنفسه على متن السفينة الحربية فوكلاند إلى مدينة الدمام واصطحب معه سفينة مسلحة وثلاثة طرادات حربية؛ بهدف إقناع محمد بن عبدالله بجدية الإنذار البريطاني(٥٦).

من الملاحظ أن خلافات أسرة آل خليفة ولجوء بعض زعمائها وأتباعهم إلى الدمام قد تسبب في مشكلات كثيرة لهذه المدينة، وصل إلى درجة تدمير المدينة بسبب سلوك هؤلاء الزعماء؛ فعند وصول السفن البريطانية التي قادها المقيم جونز Johns بنفسه إلى ساحل الدمام في سبتمبر ١٨٦١م قام محمد بن عبدالله بإطلاق النيران على السفينة فوكلاند ، ورداً على هذا التحدي أصدر المقيم أوامره إلى القوة البحرية البريطانية بضرب مدينة الدمام وتدميرها، وفر محمد بن عبدالله إلى الساحل الفارسي واستسلم أتباعه الذين تعهدوا بمغادرة الدمام فور إطلاق سراحهم ، وقد كتب المقيم جونز إلى السلطات البريطانية في الهند أن هدفه من تدمير مدينة الدمام هو ألا تصبح هذه المدينة – مرة أخرى – قاعدة صالحة قد يستخدمها محمد بن عبدالله لتهديد البحرين بعد مغادرة السفن البريطانية(٥٧).

لكن من الملاحظ أن محمد بن عبدالله لم يبق طويلاً على الساحل الفارسي، وعاد مرة أخرى إلى الدمام؛ الأمر الذي يؤكد أن مشروعاته لتهديد البحرين ورد الاعتبار لوالده كانت لا تزال قائمة وأن مدينة الدمام هي أنسب الأماكن لتحقيق هذا

(٥٦) قاسم ، جمال زكريا. الخليج العربي: دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ – ١٩١٤. مرجع سابق. ص٦٢.

(57) I.O.R,R/15/1/183,Bahrien Affairs,p.p.33.

الهدف؛ لقربها من البحرين ووجود بعض أتباعه بها- ، من ناحية أخرى فإن حاكم البحرين – الشيخ محمد بن خليفة – لم يرضه مستوى التدخل الذي قام به المقيم البريطاني في الدمام ، وربما كان الشيخ بمناوراته يخطط لاشتباك البريطانيين مع السعوديين وهو أمر لم تكن بريطانيا على استعداد له . لذلك اتخذ محمد بن خليفة موقفاً عقّد الأمور أكثر، عندما قرر أن يشن هجوماً بسفنه على ساحل الأحساء،وخاصة مدينة القطيف، بعد أن دمرت مدينة الدمام، يضاف إلى ذلك أن الشيخ قام بعدة إجراءات – كتعبير عن غضبه من الموقف البريطاني – تمثلت بفرض إتاوات وغرامات على التجار والرعايا البريطانيين في جزيرة البحرين(٥٨).

أزعجت إجراءات حاكم البحرين الجديدة السلطات البريطانية وخاصة ما يتعلق باستخدام سفنه في حصار ساحل الأحساء؛ حيث نظرت إلى خطورة هذا الأمر من ناحية امتلاك الشيخ لسفن قادرة على فرض السيطرة البحرية على الأحساء وتهديد الموانئ السعودية بأنه أمر يؤدي إلى اضطراب السلم والأمن في مياه الخليج. من ناحية أخرى أدركت بريطانيا أنه إذا لم تتخذ موقفاً حاسماً تجاه القوة البحرية لحاكم البحرين فقد يدفعه طموحه أن يتجه بعد ذلك لتهديد مشيخات الساحل العماني(٥٩).

قررت السلطات البريطانية تعديل سلوك حاكم البحرين ، فمن ناحية أجرت بريطانيا اتصالات دبلوماسية مع كل من فارس والدولة العثمانية مؤكدة أن حاكم البحرين مستقل وأن حكومة البحرين مستقلة بحكم ارتباطها مع بريطانيا بمعاهدات خاصة. أما فيما يتعلق بإساءة معاملة الرعايا البريطانيين في البحرين وفرض حصار بحري على ساحل الأحساء فقد قرر المقيم اتخاذ إجراءات حاسمة تنهي هذا الموقف المعقد الذي وضع فيه الشيخ بسلوكه السلطات البريطانية؛ فقد أمر المقيم – فيلكس جونز – بإرسال سفينة حربية إلى البحرين وأوكل لها حماية الرعايا

(٥٨) صبحي، أحمد محمود. (١٩٧٧). البحرين . القاهرة. ص٨٨.

(59) I.J.G.Lorimer,op.cit, p.p.804.

والتجار البريطانيين المقيمين فيها ومراقبة أي تحركات قد تقوم بها فارس أو سلطات العراق العثمانية تجاه البحرين، وبعد تجمع أكبر عدد من السفن البريطانية توجه المقيم بنفسه مستقلاً السفينة (فوكلاند) إلى الجزيرة موجهاً تحذيراً للشيخ مشفوعاً بعدة مطالب، أهمها: رفع الحصار البحري عن ساحل الأحساء ، ومعاملة الرعايا والتجار البريطانيين معاملة حسنة وسليمة(٦٠).

من الواضح أن بريطانيا عقدت العزم على وضع حدّ لألاعيب الشيخ محمد بن خليفة في محاولة توريطها في حرب مع السعوديين بحصاره لساحل الأحساء، وفي الوقت نفسه وجدت بريطانيا في هذه الأزمة فرصة للحدّ من قوة الشيخ محمد بن خليفة البحرية، وقدم الشيخ لبريطانيا المبرّر لتفعيل إجراءاتها عندما رفض المطالب البريطانية لثقته بالوعود التي قدمها له الفرس، وبمجرد أن أعلن الشيخ رفضه للمطالب البريطانية أصدر المقيم أوامره بالهجوم على البحرين والاستيلاء على أكبر سفينتين للشيخ، وهما «الطويلة والحمراء»، كما طلب المقيم من الشيخ أن يقلل من السفن التي يستخدمها بحجة أن أسطول البحرين يهدد الملاحة والتجارة في مياه الخليج، وأن بريطانيا ستقدم له الحماية الكافية إذا احتاج إليها(٦١).

إن عدم فهم الشيخ محمد للموقف في الخليج وثقته في مساعدة خارجية – فارسية أو عثمانية – وتلهفه – بسبب طموحاته الشخصية– إلى إثبات وجوده وإحراز انتصارات على الأمير فيصل بن تركي في ساحل الأحساء ..كل هذا انتهى بمجرد التقدم البريطاني نحو البحرين والاستيلاء على سفن الشيخ، ولم تفوت بريطانيا الفرصة لوضع حد لمناورات الشيخ في المستقبل، وقررت إدخال البحرين في نظام الهدنة البحرية الذي فرضته في الخليج منذ عام ١٨٣٥م(٦٢). ففي أواخر مايو ١٨٦١م وقع الشيخ محمد

(٦٠) كيلي، جون. بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨٨٠. مرجع سابق . ص٦٧٠.

(٦١) زكريا، جمال قاسم. الخليج العربي: دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ – ١٩١٤. مرجع سابق . ص٥٩.

(٦٢) الفلكي ، يوسف. (١٩٧٧). قضية البحرين بين الماضي والحاضر. القاهرة. ص٢٤.

بن خليفة على اتفاقية قدمها له المقيم البريطاني تعهد الشيخ بمقتضاها أن يكف – هو وخلفاؤه وورثته – عن جميع الأعمال العدوانية في البحر مقابل مساعدة الحكومة البريطانية لحماية ممتلكاته ، وأن يكف عن تجهيز السفن البحرية وأن يدفع تعويضات إذا ارتكب هو ورعاياه أي عمل عدائي ضد سكان الخليج ، وأن يسمح للرعايا البريطانيين بالإقامة والتجارة في ممتلكاته ، وخضوع هؤلاء الرعايا في الشؤون القضائية للمقيم البريطاني في الخليج أو الوكيل السياسي البريطاني في البحرين(٦٣).

لم تنه اتفاقية عام ١٨٦١م القلاقل والاضطرابات التي سببها محمد بن خليفة وطموحاته ، وكان ميدان هذه القلاقل والاضطرابات بعد خمس سنوات من توقيع الاتفاقية هو شبه جزيرة قطر . ففي عام ١٨٦٦م حدث تمرد في قطر ضد سياسة محمد بن خليفة وقبض الثوار على المبعوث الذي أرسله حاكم البحرين للتفاوض معهم(٦٤).

لقد كان اختيار محمد بن خليفة قطر في ذلك الوقت اختياراً موفقاً؛ فقد توفي في عام ١٨٦٦م الأمير فيصل بن تركي، وظهرت بوادر النزاع بين ولديه عبدالله وسعود ، وانتهز الشيخ البحريني الفرصة وأعلن امتناعه عن دفع الزكاة للسعوديين متجاهلاً التهديدات التي وجهها إليه الأمير عبدالله بن فيصل ، بل رد عليها بإرسال قوة كبيرة إلى قطر تحت قيادة أخيه– علي بن خليفة– لتأديب المتمردين في قطر في أكتوبر ١٨٦٧م(٦٥). وقد ارتكبت قوات الشيخ أعمالاً وحشية ضد أهل قطر، ولم يتمكن الأمير عبدالله – الذي طالبه القطريون بالتدخل – من القيام بأي رد فعل بسبب اضطراب الاحوال في نجد بعد وفاة الأمير فيصل بن تركي.

(63) I.O.R,R/15/1/183,Bahrien Affairs, p.p.35-36.

(64) J.G.Lorimer,op.cit, p.p.892.

(٦٥) الريحاني ، أمين . ملوك العرب. ج٢. مرجع سابق. ص١٨٠.

تطورت الأحداث بين قطر والبحرين ، وفي أوائل عام ١٨٦٨م هاجم أهل قطر البحرين بعد أن فقدوا الأمل في أي تدخل سعودي لصالحهم ، ووقعت معركة (دامسة أو البراجة)، التي انتهت بهزيمة أهل قطر، ولحق بهم جنود محمد بن خليفة في شبه الجزيرة القطرية، وخلال العمليات العسكرية تمكن القطريون من أسر أحد قادة آل خليفة – إبراهيم بن عيسى –؛ مما دفع حاكم البحرين للتفاوض، وتم الاتفاق على تبادل الأسرى ووقف العمليات العسكرية(٦٦).

ما يهمنا هو نتائج هذه الاعتداءات البحرية بين قطر والبحرين على الموقف البريطاني في الخليج من جهة ، ودور الدمام وساحل الأحساء في هذه الأزمة وانعكاسات ذلك على البحرين من جهة أخرى؛ فقد اعتبرت السلطات البريطانية أن هذه الأعمال العدوانية قد أدت إلى اضطراب الأمن في مياه الخليج ، وبما أن الشيخ محمد بن خليفة – حاكم البحرين – هو الذي بدأ هذه الاعتداءات فهو المسؤول الأول عن هذا الاضطراب للسلم في الخليج ، ورفضت أية تبريرات قدمها الشيخ عندما أعلن أن ما قام به هو تصرف في إطار حقوقه المشروعة في معاقبة رعاياه الذين تمردوا عليه في قطر(٦٧).

إلا أن رد الشيخ لم يقنع السلطات البريطانية التي اتهمته بخرق معاهدة عام ١٨٦١م ، ووصلت تعليمات إلى المقيم البريطاني الجديد في الخليج – الكولونيل لويس بيلي pelly – بمعاقبة حاكم البحرين لانتهاكه الأمن والسلم في مياه الخليج وبالفعل توجه المقيم في سبتمبر ١٨٦٨م بسفنه نحو البحرين، وفر الشيخ محمد بن خليفة من الجزيرة تاركاً أخاه علياً في حكم البحرين(٦٨).

اعتبر المقيم البريطاني فرار الشيخ اعترافاً منه بمخالفته لتعهداته، ولم يمنع هذا الفرار من انتهاز الفرصة وتدمير قصره وقلعة المنامة، وأخذ تعهدات جديدة

(٦٦) المرجع السابق نفسه. ص١٨٣.

(67) II.O.R,R/15/1/183,Bahrien Affairs, p.p.37.

(68) I.Ibid.,p.37.

من الشيخ علي بالتوقيع على اتفاقية جديدة، يتم بمقتضاها تسليم سفن البحرين للمقيم البريطاني، ودفع غرامة للسلطات البريطانية، واعتبار الشيخ محمد معزولاً من حكم البحرين[٦٩].

أما ما يتعلق بدور الدمام وساحل الأحساء في هذه الأزمة البحرينية فقد جاء في العام التالي للتدخل البريطاني في البحرين؛ حيث شهد عام ١٨٦٩م أحداثاً شارك فيها هذا الإقليم – خاصة الدمام والقطيف – بدور مهم في مستقبل البحرين . فقد كان فرار الشيخ محمد بن خليفة من البحرين إيذاناً بأن الأمر لم ينته وأن الشيخ الفار سيحاول استرداد حكمه في البحرين . ففي بداية عام ١٨٦٩م قام شيخ الكويت عبدالله بن صباح بمحاولة للتوفيق بين علي بن خليفة وأخيه محمد ولم تكلل مساعيه بالنجاح، بعدها توجه الشيخ محمد إلى ميناء القطيف وأخذ يستجمع القوات وانضمت إليه بالفعل قبيلة بني هاجر بزعامة ناصر بن مبارك الهاجري[٧٠]. في الوقت نفسه كان محمد بن عبدالله – العدو السابق لمحمد بن خليفة – قد ترك الساحل الفارسي الذي لجأ إليه بعد تدمير الدمام وعاد – مرة أخرى – إلى الدمام وأعلن انضمامه هو وأتباعه هذه المرة لمحمد بن خليفة في الهجوم على البحرين[٧١].

هكذا قدر لساحل الأحساء وبخاصة مدينتا الدمام والقطيف، المشاركة في المشهد البحريني مع نهاية الستينيات من القرن التاسع عشر؛ فقد تجمع الحلفاء – الذين كانوا فيما سبق أعداء – بغرض مهاجمة البحرين من ساحل الأحساء (القطيف والدمام)، وتوافق ذلك مع غضب قسم كبير من سكان البحرين من حكم الشيخ علي؛ بسبب فرض ضرائب باهظة عليهم ؛ ليتمكن من دفع الغرامة التي فرضتها عليه السلطات البريطانية في الخليج.

---

(69) F.Adamyait,op.cit.p.58.

(٧٠) قاسم ، جمال زكريا. الخليج العربي: دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ – ١٩١٤. مرجع سابق. ص٦٤.

(٧١) كيلي ، جون. بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨٨٠. مرجع سابق . ص٥٢٢.

وفي الهجوم الذي شنه محمد بن خليفة وحلفاؤه على البحرين من الدمام والقطيف قتل الشيخ، علي واستولى محمد بن خليفة على مدينتي المنامة والمحرق، بعد أن تعرضتا للسلب والنهب، غير أن الأمور لم تستقر لمحمد بن خليفة؛ إذ سرعان ما ثار عليه عدوه القديم – محمد بن عبدالله– وقبض عليه وأعلن نفسه حاكماً على البحرين ، واضطر أبناء الشيخ محمد بن خليفة وأبناء أخيه إلى الفرار والاتجاه نحو شبه جزيرة قطر(٧٢).

كان طبيعياً ألا تلتزم السلطات البريطانية جانب الصمت إزاء هذه التطورات الخطيرة في البحرين، واضطرت للتدخل، خاصة بعد مقتل الشيخ علي بن خليفة. معنى ذلك أن بريطانيا التي اكتفت خلال الفترة السابقة – فيما بين ١٨٢٠م – ١٨٦١م – بالتدخل في البحرين لتوجيه الشؤون السياسية والخارجية، قدم لها الهجوم على البحرين من الدمام والقطيف فرصة للتدخل في الشؤون الداخلية، ووضع أسس فرض حمايتها الكاملة على البحرين. وبالفعل أسرع المقيم – بلي Plly– فور سماعه بالاضطرابات في البحرين ومقتل الحاكم بالتوجه بصحبة السفن الحربية البريطانية إلى الجزيرة ، ونزلت القوات البريطانية لأول مرة أرض البحرين، كما ضربت السفن البحرية الحربية مدينتي الدمام والمحرق ، وفي النهاية تم القبض على محمد بن خليفة ومحمد بن عبدالله وناصر بن مبارك – زعيم قبيلة بني هاجر – الذين أرسلوا جميعاً أسرى إلى بومباي . وكان أهم الإجراءات للمقيم البريطاني وآخرها هو استدعاء الشيخ عيسى بن علي – ابن الشيخ المقتول – ونصبه حاكماً على البحرين، بعد تعهده بالالتزام بمعاهدات أسلافه مع بريطانيا.

(72) . F.Adamyait,op.cit. p.62.

٥- خاتمة:

تفاعل العامل الجغرافي لموقع الدمام كأقرب نقطة من الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية إلى جزيرة البحرين- مع الاضطرابات التي شهدتها منطقة الخليج منذ وصول المد السعودي إلى الأحساء، ووصول آل خليفة إلى حكم البحرين وتزايد النفوذ البريطاني لحماية المصالح البريطانية في منطقة الخليج - في إبراز أهمية دور مدينة الدمام في الأحداث التي وقعت في البحرين في نهاية القرن الثامن عشر حتى نهاية الستينيات من القرن التاسع عشر.

وقد مر التفاعل والتأثير والتأثر بين المكانين- الدمام والبحرين- بمراحل ثلاث : في المرحلة الأولى هددت الدمام مصالح البحرين بالاعتداء ومهاجمة السفن التابعة لها في النزاع بين فروع قبيلة العتوب ، وفي المرحلة الثانية أدت النزاعات الأسرية بين آل خليفة أنفسهم إلى تصعيد في الموقف الذي تعدى التهديد لمصالح البحرين الملاحية والتجارية إلى التهديد بالهجوم على جزيرة البحرين نفسها، وشهدت المرحلة الثالثة تصعيداً خطيراً بتنفيذ الهجوم على البحرين بالفعل واحتلالها من قبل المنشقين من آل خليفة، وقتل حاكم الجزيرة آنذاك، وفي جميع المراحل أقحم السعوديون والبريطانيون في الأحداث، وترتب على ذلك نتائج مهمة على الموقف العام في منطقة الخليج.

خلال فترة الخلافات بين أفراد قبيلة العتوب وجد المناهضون لفرع آل خليفة في مدينة الدمام أنسب الأماكن لتهديد أقاربهم والانتقام منهم بتهديد سفنهم وتجارتهم ، وقد أقحم السعوديون أنفسهم في هذه الخلافات بمساعدة الجلاهمة انتقاماً من آل خليفة ، كما أقحم البريطانيون أنفسهم بمساندة آل خليفة خاصة بعد انضمامهم للمعاهدة البريطانية (١٨٢٠م) رغبة منهم في الحد من النفوذ السعودي المتطلع للسيطرة على البحرين ، ولذلك غضوا الطرف عن قيام آل خليفة بمهاجمة الدمام والقضاء على خطر الجلاهمة المهدد لحكمهم في البحرين.

وإذا كانت خلافات العتوب قد أنتجت هجوماً فقط من قبل آل خليفة على الدمام بغرض القضاء على خطر الجلاهمة ، فإن مشاركة المدينة في النزاعات الأسرية بين آل خليفة بلجوء المنشقين إلى الدمام والتخطيط للهجوم على الجزيرة في الوقت الذي استعاد فيه السعوديون نفوذهم على الأحساء ووقوف الأمير فيصل بن تركي إلى جانب حاكم البحرين ضد المنشقين بزعامة عبدالله بن أحمد- الذي خضع للمصريين- أنتجت وضعاً جديداً دفعت الدمام ثمن تعقيداته؛ فقد تعرضت المدينة لهجوم بريطاني مسلح أدى إلى تدميرها. هذا التدخل العسكري بصورته التدميرية من قبل بريطانيا كان الأول من نوعه لمدينة ساحلية في الخليج منذ التدخل العسكري ضد ميناءي الشارقة ورأس الخيمة في الحملة البريطانية ضد القواسم عام ١٨١٩م.

أما بخصوص البحرين فإن تصميم حاكمها – في أعقاب هذا الهجوم – على فرض حصار بحري على الأحساء لعدم رضاه على مستوى التدخل البريطاني لصالحه –على الرغم من تدمير الدمام- دفع بريطانيا إلى اتخاذ إجراءات حاسمة بالحد من التفوق البحري لحاكم البحرين ، والأهم من ذلك أن موقف الشيخ دفع السلطات البريطانية إلى ضم البحرين للهدنة البحرية التي فرضتها بريطانيا على الخليج منذ عام ١٨٣٥م.

وأخيراً جاء المشهد الأخير في الصراع الأسري لآل خليفة مع نهاية الستينيات من القرن التاسع عشر بهجوم على البحرين من ساحل الأحساء ومدينتي الدمام والقطيف، شاركت فيه قبيلة بني هاجر، وجاء هذا الهجوم في وقت اضطربت فيه أحوال نجد بعد وفاة الأمير السعودي فيصل بن تركي ونشوب نزاع على الحكم بين ولديه عبدالله وسعود . هذا التصعيد دفع بريطانيا إلى الرد الحاسم على هذا الهجوم واحتلال البحرين وقتل الحاكم ، واقتصر الرد البريطاني على التدخل في البحرين عسكرياً والقضاء على المتمردين والقبض على زعمائهم، ثم اتخاذ إجراء لم تتخذه بريطانيا من قبل في أي منطقة من مناطق الخليج، حتى ذلك الوقت، وهو

التدخل في الشؤون الداخلية بتنصيب حاكم من قبلها على الحكم في البحرين، هو الشيخ عيسى بن علي. وقد استمر حكم هذا الشيخ لأكثر من خمسين عاماً (١٨٧٠-١٩٢٣م)، وخلال حكمه تمكنت بريطانيا – بعد وضع أساس حمايتها بتنصيب حاكم من قبلها- من فرض حمايتها الكاملة بفرض معاهدات جديدة، مكنتها من مقاومة أية تحديات أو تهديدات لمصالحها، خاصة أن العام التالي لتنصيب الشيخ عيسى (١٨٧١م) شهد إرسال الدولة العثمانية حملة مدحت باشا (حملة الأحساء) لاستعادة نفوذها في منطقة الخليج.

المصادر والمراجع

أولاً – الوثائق:

(أ) الوثائق غير المنشورة:

(١) I.O.R.:

- Bombay Government, Selection from the records of the Government of Bombay.vol.xx1, (1694-1844)
- R/15/1/183,Bahrien Affairs

(ب) الوثائق المنشورة:

- Aitchison,C.U. (1933). A collection of treaties, engagements and sands relating to India and neighboring countries ,Delhi.
- Lormer,J.G. (1977). Gazetter of the Persian Gulf,Vol.I Historical,Calcutta,1913.
- Narop,R-and others, Area handbook for the Persian Gulf States, Washington.

ثانياً – المراجع العربية والمعربة:

- أبو حاكمة، أحمد مصطفى. (١٩٦٥). تاريخ شرق الجزيرة العربية (الكويت والبحرين). ترجمة محمد أمين عبدالله .بيروت.
- الريحاني، أمين. (١٩٦٧). ملوك العرب .ج٢. بيروت.
- صبحي، أحمد محمود. (١٩٧٧). البحرين. القاهرة.
- كيلي، جون. (١٩٦٧). بريطانيا والخليج ١٧٩٥–١٨٨٠. ج١. ترجمة محمد أمين عبدالله. سلطنة عمان.

- قاسم ، جمال زكريا. (١٩٦٥). الخليج العربي: دراسة لتاريخ الإمارات العربية١٨٤٠-١٩١٤م. ج٢. القاهرة.
- وهبة، حافظ. (١٩٥٦). جزيرة العرب في القرن العشرين. القاهرة.
- محمود، حسن سليمان. (١٩٦٨). الكويت: ماضيها وحاضرها. بغداد.
- الشيخ، حسين خلف. (١٩٥٩). تاريخ الكويت السياسي. الكويت.
- الشملان، سيف مرزوق. (١٩٥٩). من تاريخ الكويت. القاهرة.
- ابن بشر، عثمان. (١٩٦١). عنوان المجد في تاريخ نجد. بيروت.
- الرشيد، عبدالعزيز. (١٩٥٩). تاريخ الكويت. القاهرة.
- عبدالله، محمد مرسي. (١٩٧٨). إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى. القاهرة.
- الفلكي، يوسف. (١٩٧٧). قضية البحرين بين الماضي والحاضر. القاهرة.

ثالثاً - المراجع الأجنبية:

1. F, Adamyait. (1955). Bahrein Islands .Newyork.
2. H.P. , Dickson. (1956). Kuwait and her Neighbours,London.
3. T. Farah. (1979). Protection and Politices in Bahrein ,London.
4. F. Khuri. (1980). Tribes and State in Bahrien,Chieago.